

للشيخ أبي المودة الشريف ماء العينين

ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين

(رحمه الله)

خرج أحاديثه وعلق عليه وضبط نصه

أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

المجلد الأول

دار ابن القيم — دار ابن عفان

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد أقبل المعاصرون على كتاب «الموافقات»، وتباروا في خدمته، ووجه أفاضل منهم العناية إليه، وعملوا على خدمته، ودراسة منهجه، وكان لي ـ بحمد الله ومنِّه ـ نصيب في تقويم نصّه، وضبطه، وتخريج أحاديثه، والتعليق عليه، وجمع جهود السابقين من تعليقات وشروح، وظهر هذا الجهد عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م) عن دار ابن عفان، وتلقاه طلبة العلم والعلماء على وجه حسن مرضيّ، وهذا من فضل الله عليّ.

وكنتُ ذكرتُ في مقدمته ضمن (محاور) خدمة المعاصرين له: (مختصراته)[١]، وقلت (ص٣٣ـ٣٦):

---

(١) عمل على اختصاره من الأقدمين اثنان، أحدهما بعنوان «نيل المنى من الموافقات» منه نسخة خطية بدير الأسكوريال، تحت رقم (١١٦٤)، وعنوانه يدل على أن هذا الاختصار من أعظم أمانيّ المختصر، وانظر: «الموافقات» (١/ ٣١ـ٣٢ـ مقدمتي).
ومن الجدير بالذكر أنني ذكرت في مقدمة أصل الكتاب مباحث مهمة، تعين على فهمه، وتبرز أهميته وأثره، ولا سيما في الإصلاح والمصلحين في حاضرنا اليوم، وقد جلَّيتُ منهج الشاطبي في الإصلاح في تقديمي لكتابه الآخر: «الاعتصام» (١ / ٢١ ـ ٧٩)، والله الموفق للخيرات، والهادي إلى الصالحات.

قام باختصار الكتاب فيما وقفتُ عليه ثلاثة:

الأول: مصطفى بن محمد فاضل بن محمد مأمَيْن الشنقيطي القلقمي (المتوفى سنة ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م).

نظم كتاب «الموافقات» ثم شرحه بعبارات المصنف مع اختصار شديد لها، ولكنه متين وقوي، وأفاد أنه وقف على «الموافقات» عام ستة بعد ثلاث مئة وألف، وقال: «ولم يكن له قبل ذلك في ناحيتنا هذه أثر، ولا بلغ أحداً منهم له خبر».

وطبع هذا النظم مع شرحه سنة (١٣٢٤هـ) بعنوان: «المرافق على الموافق» في مطبعة أحمد يمني بفاس، وأثبت على طرته: «طبع على نفقة قائد المشور السعيد السيد إدريس بنعيش».

جاء في أوله مدح لـ«الموافقات»، وبيان منهجه فيه، وهذا نص كلامه:

«الحمد لله الذي به شروح العلوم ونصوصها، وبه تعلم أصولها وفروعها كلما بدت خصوصها، وبه نيل معرفة ما هو عمومها وخصوصها، وبه تميز منها ما هو خواتمها وفصوصها، والصلاة والسلام على محمد الثابت به مرصوصها، الموافق بين ظاهرها وباطنها، المبين به خلوصها، وعلى آله وصحبه وتابعيهم الظاهر بهم قلوصها، وبعد؛ فيقول عبيد ربه ماء العينين ابن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين، غفر الله لهم وللمسلمين آمين:

إنه لما تفضل الله علي بكتاب «الموافقات» للشيخ، العلامة، المحقق، القدوة، الحافظ، الأصولي، النظار، أبي إسحاق، إبراهيم بن موسى بن محمد، اللخمي، الشاطبي، ثم الغرناطي ـ تفقده الله برحمته ـ عام ستة بعد ثلاث مئة وألف ولم يكن له قبل ذلك في ناحيتنا هذه أثر، ولا بلغ أحداً منهم له خبر؛ فأخذته واستشعرته بعد أن جعلته دثاراً، وجعلت الحائل بيني معه الظلام لا ما دمت أرى له أنواراً، فإذا هو نور يذهب الظلام وينور البصائر والأبصار؛ إلا أنه بحر أبحر تغرق فيه البحار، ويرشف الأنهار؛ فقلت: من جاء البحر فليأت أهله بشيء من الدرر، إن أمكن، وإلا فليأتهم بشيء من العنبر، فلما نظرت إذا البحر لا ساحل له، ولا سفينة

لي تمر بي فيه لأدخله؛ فبقيت متحيراً، وفي فضل ربي معتبراً؛ حتى تذكرت ما تفضل الله عليّ به فيما مضى من قولي غفر الله لي قولي وعملي:

شربت شراباً لا ذوو الخمر تشرب وشاهدت ما الأبصار عنه تحجب

وخضت بحاراً لا تخاض بحيلة ولكنها فضلاً تخاض وتُشرب

علمت أن فضل ربي ما انقضى، وقد قال لنبينا عليه السلام: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، ونحن له من عطائه، وهو لنا من آلائه؛ فاستقدرت على ما أردت منه بنبينا ﷺ المستوى فيه ذكينا مع غبينا، ﷺ في صبحنا وعشينا، واقتحمت فيه بثيابي، وقلت هذا بحري وكتابي؛ فإذا هو البحر العذب الزلال، والكتاب الجامع لأصول مذاهب الرجال؛ فشرعت في استخراجي منه نظماً، لعله يفيد من طلب منه علماً؛ فتفضل الله علي بنظمه، لكن تعذر على الغير بعض فهمه؛ فطلب مني أن أشرحه شرحاً يبين معناه؛ لتكثر الفائدة، ويسهل فهمه لمن تعناه؛ فشرحته شرحاً ما جهدت فيه إلا في الاختصار، والتجافي عن منهج الإكثار، **والمؤلفات تتفاضل بزهو الزهر والثمر لا بالهدر، وبالملح لا بالكبر، وبجموع اللطائف لا بتكثير الصحائف، وبفخامة الأسرار لا بضخامة الأسفار،** ولذلك جعلت هذا الشرح مجلداً واحداً، ولو مددت فيه القلم لكان أربع مجلدات أو زائداً، لكني أتيت من الأصل بما فيه الكفاية، وما تحصل البغية لأهل الدراية، ولذلك سميته «المرافق على الموافق» مستعيناً عليه بمبين الدقائق ومعلم الشرائع والحقائق، والمعطي من فضله جميع الخلائق، طالباً منه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويكسونا القبول حتى يعم النفع بنا لذوي التخصيص والتعميم، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير».

وأزيد هنا:

إنّ هذا «المختصر» له وعليه، وهو أكثر المختصرات[1] فائدة، وأتمُّها،

---

(١) أعني المطبوعة إلى هذه الساعة.

واقتصر صاحبه على اللازم من المسائل، ولم يحذف إلا ما دعت الحاجة إليه من استطرادات، وعمل مصنفه جاهداً على الإتيان بعبارة المصنف وأدلّته واستنباطاته.

أما الذي عليه، فاستطراداته مما هو خارج عن مادة الكتاب، من ذكره للكرامات، وكثيراً من الشطحات الصوفية، والخرافات العقديّة، ولكن العزاء أمران:

الأول: إن هذه قليلة، وهي مغمورة.

والآخر: أنني علقتُ عليها، وبيّنتُ ما فيها، وبذا يكون القارىء قد وقف على الخطأ والصواب، وفي هذا فائدتان، والله المستعان.

ومن المختصرات أيضاً:

الثاني: إبراهيم بن طاهر بن أحمد بن أسعد العظم (المتوفى سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).

قال الزِّركلي في «الأعلام» (١/ ٤٤): «له اختصار الموافقات» للشاطبي، مخطوط، جزآن، عند أسرته». قلت: لم يطبع إلى هذه الساعة.

الثالث: محمد يحيى بن عمر المختار بن الطالب عبدالله الولاتي الشنقيطي[1] (ت١٣٣٠هـ - ١٩١٢م).

له «توضيح المشكلات في اختصار الموافقات»، طبعه وراجعه حفيده بابا محمد عبدالله (المحاضر بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض)، ولم أقف منه إلا على مجلدين، وفي الآخر منهما ينتهي كتاب (المقاصد).

الرابع: محمد بن حسين الجيزاني، له «تهذيب الموافقات»، طبع عن دار ابن الجوزي، سنة ١٤٢١هـ، وذلك بعد نشرتي للكتاب.

---

(١) له ترجمة في: «الأعلام الشرقية» (١/ ٤٠٣/ رقم/ ٥٠٠ - ط دار الغرب)، و«شجرة النور الزكية» (٤٣٥)، و«المعسول» (٨/ ٢٨١-٢٨٧)، و«الأعلام» للزِّركلي (٧/ ١٤٢-١٤٣).

وقد اعتمد الجيزاني في تهذيبه على طبعة العلامة دِراز، ونشرتي من الكتاب، واعتمد عليها في نقله بعض مصادر تخريج الأحاديث والآثار، وفي النادر نقل الحكم من حيث الصحة والضعف، ولم يوثق النقولات، وهذا وصف جُملي لصنيعه في هذا التهذيب:

القسم الأول: المقدمات:

حذف مقدمة الشاطبي للموافقات:

قال في صفحة «٣٤»: وهي إحدى عشرة مقدمة، ولما عدّدها في القائمة كانت اثنتي عشرة مقدمة. والمقدمة الثانية عشرة عند الشاطبي جعلها الحادية عشرة. وهي (أخذ العلم عن أهله).

وحذف الأدلة من المقدمة الأولى والثانية ـ وهما في قطعية أصول الفقه وأنواع الأدلة ـ.

وحذف المقدمة الحادية عشرة وجعل الثانية عشرة عند الشاطبي حادية عشرة.

كتاب الأحكام:

أ ـ خطاب التكليف:

عند الشاطبي ثلاث عشرة مسألة فجعلها هو عشراً.

المسألة الثالثة عنده خالية من الشرح.

وحذف المسألة الخامسة عند الشاطبي، وهي (في انحصار المباح في حظّ المكلف وأن الأمر والنهي راجعان إلى حقّ الله لا إلى حظ المكلف).

وجعل المسألة السادسة عند الشاطبي خامسة، ثم ذكر الدليل الأول والثاني.

وحذف الدليل الثالث: (وهو الإجماع على أن تكليف ما لا يُطاق غير واقع في الشريعة).

وحذف المسألتين الثانية عشرة والثالثة عشرة.

القسم الثاني: خطاب الوضع:

الأسباب: عدّد فيه ثمان مسائل بينما هي عند الشاطبي أربع عشرة مسألة.

حذف المسألة الخامسة والسادسة والسابعة. فصارت الثامنة عند الشاطبي خامسة عنده.

وحذف المسألة الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة.

الشروط: عدّد فيها خمس مسائل وهي ثمان عند الشاطبي.

حذف الثانية والثالثة والسادسة.

الموانع: قال: فيه مسألة واحدة هي أقسام الموانع، ولما شرع فيها لم يذكر سوى مقدمة المسألة. ثم حذف المسألة الثانية والثالثة.

الصحة والبطلان: حذف المسألة الثالثة.

العزائم والرخص: جعل المسألة الرابعة عند الشاطبي ثالثة، وجعل الثالثة رابعة.

كتاب المقاصد:

النوع الأول: عدّد فيه اثني عشرة مسألة وهي عند الشاطبي ثلاث عشرة مسألة.

حذف المسألة التاسعة وهي (أصول الشريعة وأصول أصولها قطعية وأدلتها قطعية).

النوع الثاني: ذكر فيه ست مسائل مع أنها خمس عند الشاطبي.

وفي الشرح جعل ما سماه مسألة سادسة فصلاً من المسألة الخامسة.

النوع الثالث: حذف المسألة الرابعة من «الموافقات»، فصارت خامسة «الموافقات» رابعة عنده.

وحذف المسألة التاسعة والعاشرة.

النوع الرابع: حذف المسألة الرابعة والمسألة الخامسة عشرة.

القسم الثاني:

حذف المسألة الثامنة:

كتاب الأدلة الشرعية:

أ ـ كليات الأدلة: حذف المسألة الرابعة وهي (المقصود من وضع الأدلة).

عوارض الأدلة:

الإحكام والتشابه: حذف المسألة الخامسة.

الإحكام والنسخ: حذف المسألة الرابعة.

الفصل الثالث: الأوامر والنواهي:

حذف المسألة الرابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة والرابعة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة.

الفصل الرابع: العموم والخصوص:

حذف المسألة الخامسة، والتي فيها أدلة ما ذكره الشاطبي في آخر المسألة الرابعة.

الطرف الثاني في الأدلة على التفصيل:

أ ـ الدليل الأول: الكتاب:

حذف المسألة العاشرة وهي (في الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب).

حذف المسألة الثانية عشرة وهي (في التوسط المعين على فهم مقصود الخطاب).

القسم الخامس: كتاب الاجتهاد:

أخّر المسألة الثالثة عند الشاطبي فصارت خامسة عنده.

أخّر المسألة الرابعة عند الشاطبي فصارت سادسة عنده.

في المسألة الثالثة عشرة إخلال كبير، فإن المسألة تبحث في المقدار الذي إذا وصل إليه صاحب المرتبة توجّه عليه الخطاب في الاجتهاد، وقد ختمها الشاطبي بخاصيتين لصاحب المرتبة، فجعل المختصر هاتين الخاصيتين لبّ المسألة، واقتصر عليهما.

حذف المسألة الرابعة عشرة.

الطرف الثالث:

حذف المسألة السادسة.

لواحق الاجتهاد:

النظر الثاني: أحكام السؤال والجواب:

حذف المسألة الخامسة والمسألة السادسة.

تقييم الكتاب:

قد بالغ صاحب الكتاب في الحذف وفي التقديم والتأخير متذرعاً بإمكانية الاستغناء عن المحذوف، مع أن كثيراً مما حذفه لا يمكن الاستغناء عنه، فإن أدلة المقدمة الأولى والثانية وهما في قطعية أصول الفقه وأنواع الأدلة، لا يمكن الاستغناء عنها، وكذلك لا يمكن الاستغناء عن المسألة التاسعة (من النوع الأول في كتاب المقاصد) وهي أصول الشريعة وأصول أصولها قطعية وأدلتها قطعية، لأنها أس الأحكام وضابط التفكير.

ولم يعتذر صاحب الكتاب عند التقديم والتأخير، مما يعني أن الحذف والتقديم والتأخير كان لسبب آخر غير الذي ذكر.

إن قيمة كتاب «الموافقات» ليست فقط في صحة ما حواه من آراء، وإنما فيها وفي الفكرة المصحوبة بالدليل المثبت لها، وفي طريقة الوصول إلى الفكرة، وقد حذفت معظم الأدلة السمعية والعقلية في «التهذيب»، **فأفقد القارىء ثمرة**

«الموافقات».

ولم يبين صاحب الكتاب في المقدمة طريقته في «التهذيب» على التفصيل، ولم يعط صورة واضحة عن مقدار المحذوف من المسائل والأدلة، ولم يقدم ما يقنع به القارىء من الحذف والتقديم والتأخير، **والاختصار المخِلّ الذي لا يفيد علماً في كثير من المواضع**.

* * * * *

ترجمة المصنف[1]

أبو محمد مصطفى بن محمد فاضل بن محمد مامَيْن الشنقيطي القلقمي، أبو الأنوار، الملقب بماء العينين، من قبيلة القلاقمة، من عرب شنقيط.

مولده ببلدة الحوض سنة ١٢٤٦هـ الموافق ١٨٣٠م، ووفاته في تزنيت من مدن السوس الأقصى. وفد على ملوك المغرب في رحلته إلى الحج وحظي عندهم.

وكان مع اشتغاله بالحديث واللغة والسير، له معرفة بما يسمى «علم خواص الأسماء والجداول والدوائر والأوقاف وسر الحرف»، وقصده الناس لهذا!!.

قال صاحب «معجم الشيوخ»: «وأخباره في العلم والطريق والسياسة واسعة تحتاج إلى مؤلف خاص».

يستفاد مما كتب عنه؛ أنه كانت له مواقف ووقائع في مقاومة الاستعمارين الفرنسي والإسباني في المغرب، وأن الشعب المغربي أسند إليه في العام الأخير من حياته قيادة الجهاد، واجتمع لديه جيش من تلاميذه ومن رجاله ومن قبائل الرقيبات وأولاد دليم وأولاد أبي السباع والنكنة والشلوح وسائر قبائل السوس، وزحف نحو فاس (العاصمة يومئذ) لإنقاذها، وكادت ثورته تعم المغرب كله لولا أن حشد له الفرنسيون قواهم، وتغلبوا عليه، ومرض فعاد إلى مدينة تزنيت الواقعة على ٩٥ كيلو

---

(١) ترجمته في «الوسيط في أخبار شنقيط» (٣٦٠)، و«معجم الشيوخ» (٢/ ٣٧)، و«المعسول» (٤/ ٨٣ـ١٠١)، و«معجم المطبوعات العربية» (١٦٠١)، و«الأعلام» (٧/ ٢٤٣ـ٢٤٤)، ومجلة «صحراء المغرب» (عدد ٢٤ محرم/ سنة ١٣٧٨هـ)، وفيها بحث مستفيض في نسبه وطريقته وأبنائه وسيرته.

متراً من جنوب أغادير، و٦٠ من إفنى، فتوفي ودفن بها، وذلك في سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٩١٠م.

قال في «المعسول»: «لما تمكن المولى عبدالحفيظ، ودخل فاساً، سافر الشيخ ماء العينين، من تزنيت إلى فاس، محاذياً سفح الأطلس، لأنه لا يأمن في السهول، فأرسل الفرنسيون المحتلون للدار البيضاء وما يليها إلى الملك بفاس، ينذرونه بأنهم يعدون كل من مد يده (بالمعونة) إلى ماء العينين عدواً لهم، فأوعز الملك إلى عبدالله بن يعيش بأن يتلقى الشيخ في الطريق، برسالة من الملك، ليرجع عن فاس، ثم لما وصل الشيخ إلى تادلة، أراد الفرنسيون أن يتسربوا إليه ليلاً، ليستحوذوا عليه وحفظه الله منهم، فنشأت عن ذلك حرب بين أهل تادلة والفرنسيين، اصطلى فيها هؤلاء بنار مستعرة في يوم مذكور ورجع الشيخ متوغلاً الأطلس، فطلع من آيت عتاب إلى أن نزل على رأس الوادي في سوس، فحط رحله في تزنيت، حيث لفظ نفسه الأخير وشيكاً».

له كتب كثيرة، منها:

- «شرح راموز الحديث»، مطبوع.
- «نعت البدايات وتوصيف النهايات»، مطبوع.
- «تبيين الغموض على النظم المسمى بنعت العروض»، مطبوع.
- «مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع»، مطبوع.
- «مبصر المتشوف»، مطبوع، في التصوف.
- دليل الرفاق على شمس الاتفاق»، مطبوع، ثلاثة أجزاء قديماً، وفي جزئين حديثاً، في الفقه المالكي.
- «مذهب المخوف على دعوات الحروف»، مطبوع.
- «المرافق على الموافق»، مطبوع قديماً، وهو نظم لـ«الموافقات» مع شرح له.

- « مفيد الحاضرة والبادية»، مطبوع.

- «مجموع»، مطبوع، مشتمل على رسائل منها: «قرة العينين في الكلام على الرؤية في الدارين».

- «الإيضاح لبعض الاصطلاح».

- «ما يتعلق بمسائل التيمم».

- «سهل المرتقى في الحث على التقى».

- «فاتق الرتق على راتق الفتق»، وهو شرح قصيدة من نظمه غريبة المباني (كما وصفها في مقدمة الشرح)، منها نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط (د٣٨٤)، واسمه على هذه النسخة «محمد مصطفى الشريف الحسيني الإدريسي الملقب ماء العينين».

* * * * *